

رياض الصالح الحسين



أساطير يومئذ

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

صمم الفلاف : عاصم الباشا

رياضة الصالح والحسين

أساطير يومئذ

منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي

دمشق - ١٩٨٠



« لقد قلت لك ، أيها الرئيس ، أن كل ما يجري فوق
هذه الأرض ، غير عادل ، غير عادل ، غير عادل ! وأنا
حودة الأرض ، زوربا الحلزون ، لا أوافق على ذلك . » .

نيكوس كازانتزاكي

— زوربا —

حرب . حرب . حرب

عاشق ذاهب بين حشرجةِ النازحين وحشرجة الكلمات

عاشق مثل هدي البراري الملمعة والجثث الذهبية

يخرج من زمنٍ ليغني

ويدخل في وطنٍ ليغني

يبتاع أرغفةً ومعاولَ

يبتاع أرغفةً ومعاولَ

يبتاع حزنًا شديدًا

ودبابيةً حشرجةً بين فكي زهرة دفلى

يبتاع قبراً وسيفاً لثلاثة

وغصوناً خضراء من فرح أبدي للعاشقات

عاشق ذاهب بين حشرجة النازحين وحشرجة الطلقات

عاشق قال :

هذه هي الحرب

تخلع قمصانها الحشبية

تكشف عن عريها الحشري :

دماء وأرصفة

ودفاتر مبتلة بالنشيج

دماء وعاشقة ودفاتر مبتلة بالدماء

دماء وأرغفة

وأساور ضيقة

وماذن واسعة

وطيور تهاجر . .

مجزرة وشعوب

مجزرة وزهور

هذي هي الحرب تفتح نافذة الحب للقائين

وللعاشقين ستفتح نافذة للقبور

• • •

في الحروب التي ذهبت

في الحروب التي بقيت

في الحروب التي حاولت أن تجيء

كان وجه أليف لعاشقة يتمرغ في الرمل

والألم الطبقي

كانت العاشقات الوسيمات يخرجن للشرفات

ويعرضن أجسادهن المدماة لله

والله كان يجيء القرى وبصحبه الجند

كان يعبيء مئزره الملكي حروباً وينثرها في البيادر

كانت بيادر من فضة ومواعيد

كانت بيادر من فضة

• ثم كانت حروب
وهل تذهبين الى البيتِ
أم تذهبين الى الموتِ
هل تذهبين الى العشبِ
أم تذهبين الى الحربِ
كنا لسير نسير وثقبنا الطلقات
وكنا نسير نسير بدائرة قطرها أنف حزن
بدأ بيد ونغني
بدأ بيد ونموت
ويا أيها الموت لا تأت في الصيف
انّ الطيور تشاطرنا الصيف
يا أيها الموت لا تأت في مطر خائف وبعيد
لا تأتِ
فالأرض عطشانة

والمواسم مكسورة
والشعر سينضب
والعاشقات سيكين عشاقهن
ولا تأتِ . . لا تأتِ
لكنه الموت يأتي
ولكنها الحرب تأتي بهيبتها الحشرية
تدخل من ثقبِ بابٍ
ومن ثقبِ نافذةٍ
تناسل في حانة - صحف - كتب
تناسل في جثث العاشقات
ثم تنده للقاتلين : « استريحوا . . استريحوا »
وتطعمنا البؤس والطلقات

• • •

عاشق قال :

بعد نهارين من تعب و رصاص

نجيء من الأرض عاشقة

وتمدُّ يديها الى مطر واجاص

تمد يديها الى الماء

تغسل ألسنة الخطباء وألسنة الرقباء

تسجل أرصدة الفقراء التي ابتلعتها الحروب

على دفترٍ شجريّ

تمزق قبعة الجنرال

وقبل مسائين من مطر واجاص أرى :

تحت قبعة الجنرال قرى مصمصة عظم أطفالها

ويدين تقطعتا

وأرى تحت قبعة الجنرال :

دماً ساطعاً

وجماجم مكسورة تهجى حروف البلاد

وفي كل حرف مشاريع من حلم فاسد
وأرى تحت قبعة الجنرالات
مشروع حرب على الزهر
مشروع حرب على النهر
مشروع حرب على الفقراء
ويبن يدين تقطعتا
يهرب العاشقون من العشقِ
والميتون من الموت
والفقراء من الفقر
من ثم تسقط قبيلة ويحيى الغزاة الأشداء
من كأس شاي وسيجارة وصباح
ومن كأس شاي وسيجارة تبدأ الثورة العالمية
أو تبدأ الأمنيات الكثيرات
يبدأ الخطباء خطاباتهم

والجنود رصاصاتهم
ثم أفرغ من الحزن
أقذفه تحت قبعة الجنرال
وأركض في مقتل لا يحدّ
/ أنا الآن مقتنع بيلادي
ومقتنع باضطهادي /
وفي زمن لا يحدّ أرى من أحب على شاطئ
تسريح من اليأس
تسألني عن مكان لذيذ بلا شرطة
نتبادل فيه الأناشيد والقبلات
أجيب : هو البحر
قالت هو البحر . قالت هو البحر
وابتسمت .

- ١٩٧٦ -

بغدة ثلاثة أيام

ما الذي سيحدث في هذا الضياء الواسع

إذا لم تشرق الشمس

لمدة ثلاثة أيام ؟

ما الذي سيحدث في هذا الفضاء الواسع

إذا توقفت العصافير عن الزقزقة

لمدة ثلاثة أيام ؟

ما الذي سيحدث في هذا الحجم الواسع

إذا تعطلت أجهزة اللاسلكي

لمدة ثلاثة أيام ؟

ما الذي سيحدث في هذا المستنقع الواسع

إذا توقفت الضفادع عن النقيق

لمدة ثلاثة أيام ؟

ما الذي سيحدث في هذا القبر الواسع

إذا فقدت السجائر من الأسواق

لمدة ثلاثة أيام ؟

ما الذي سيحدث في هذا الخنجر الواسع

إذا توقفت أمريكا عن أكل لحوم البشر

لمدة ثلاثة أيام ؟

ما الذي سيحدث في هذا العالم الواسع

إذا أضربنا عن اليأس

لمدة ثلاثة أيام ؟

وما الذي سيحدث في قلبي الواسع

إذا لم أحبك

بعد ثلاثة أيام ؟

• • •

منذ القبله الأولى على رقبتك الطويلة
وحتى الحرب العالمية الثانية
آتي لم تأت بعد
كنت أوزع الحب على النازحين
وهم يوزعون بطاقات الاعاشه
كنت أوزع الحب على السجناء
وهم يوزعون الصدمات الكهربائيه
كنت اوزع المصانع في الصحارى
وهم يرصدون سجننا لكل مصنع
منذ انبثاق النار من احتكاك حجرين
وحتى اختراع القنابل العنقودية
كنت أوزع الحب في التلويح
كما يوزعون الرصاص
كنت أنثر الأغاني في الطرق الجبلية

كما ينثرون الأغمام
منذ أن جلس بوكاسا على عرشه العريض
وأنا أحاول أن أحبه
بعد ثلاثة أيام

• • •

بعد ثلاثة أيام
ستقابل عاملة في مصنع للنسيج
رجلاً يصنع التوايت
بعد ثلاثة أيام
السماء ليست سوداء
والأحاديث ستكون أجمل
بعد ثلاثة أيام
ستقابل العاملة رجلاً
هي لا تحمل حقيبة

وهو لا يضع ربطة عنق حمراء

بعد ثلاثة أيام

ستحدث مهزلة بسيطة

- رغم أن كلاً منهما لا يملك أجرة تكسي -

عندما تقول له :

لا أستطيع أن أحبك

إلاّ بعد ثلاثة أيام

• • •

راعي بقر مكسيكي

يمتطي دبابة سميّة

أسنانه في نهد خط الاستواء

وأصابعه تلعب البوكر في داريا

جزمته في طهران

ودماغه في واشنطن

راعي بقر مكسيكي

أطلق قذيفة واحدة

فأصاب ثلاث عائلات

الأولى : لم تسمع بالأمم المتحدة

الثانية : لم تسمع بالأمم المتحدة

الثالثة : لم تسمع بالأمم المتحدة

راعي بقر مكسيكي

أطلق قذيفة واحدة

فتقب قلبي من ست جهات

شحذت سكينى ببرود

أيها الراعي . . أيها الراعي

تعال لأحبك !

• • •

بعد ثلاث قبلات

بعد ثلاث قذائف

بعد ثلاثة أرغفة

بعد ثلاث مجاعات

بعد ثلاث حروب

بعد ثلاث جرائم

بعد ثلاث مصفحات

بعد ثلاث مراوح كهربائية

بعد ثلاث جثث

بعد ثلاثة أرانب

بعد ٢٤ سنة من التعب البارد

من يستطيع أن يحبني

بعد ثلاثة أيام ؟

* * *

نيكاراغوا. نيكاراغوا

دم أبيض وأزهار سوداء

نوافذ تطلّ على البحر

ونوافذ تطلّ على المقابر

فتاة جائعة تمسّط شعرها باتقان

مياه صلدة

أغانٍ بليدة تتحدث عن الحب والفراق

عجوز معبأة بالذكريات والسعال

دفاتر ممزقة ونشيج مكتوم

نيكاراغوا

• • •

مصانع لإنتاج الأدوية الغالية
وأخرى لإنتاج الأمراض الرخيصة
طائرات لنقل البشر إلى الحروب
وأخرى لنقل البشر إلى الغابات الجميلة
أراضٍ لزراعة البرسيم والقمح والبترو
وأراضٍ لزراعة الفيروسات والجماجم والتوايت
نيكاراغوا

• • •

مدينة عذبة بشفيتين ناريتين
شوارع عريضة للنمور والفئران والسجون
وشوارع ضيقة للأبقار والعصافير والحرية
نيكاراغوا

• • •

مكاتب لاستئجار وتأجير البيوت

مکاتب لاستئجار وتأجير المقاعد
مکاتب لاستئجار وتأجير الصحارى
مکاتب لاستئجار وتأجير الكتاب
مکاتب لاستئجار وتأجير النجوم
مکاتب لاستئجار وتأجير الاسماء
مکاتب لاستئجار وتأجير الهواء
مکاتب لاستئجار وتأجير القمر
نيكاراغوا

• • •

نابليون يتبادل الأنخاب مع القيصر
بريتون يشتم سلفادور دالي
الليندي يتنازل عن السلطة للفاشين
بردى يصبّ في الميسيسيبي
شعراء يشتركون في سباق الخيول

وحدادون يكتبون الروايات الجميلة
نيكاراغوا

• • •

سندويتش مهرب عبر الحدود
ساحرات يقطنّ علب الكبريت
أرانب تتعلم ركوب الدراجات
نسائيس تشرب الكازوز في الشواطئ الزرقاء
جيوب محشوة بالمدروعات
السنة مطلية بالنيقيا
تحيات مثلجة
قبلات عوراء
سياط ملونة كالطواويس
وطواويس بلا ذبول معروضة في الحدائق العامة
نيكاراغوا

• • •

برآدات لحفظ الجوع من الذوبان
طناجر بخارية لطبخ الألم والضياء
ستائر لطررد الشمس من البيوت
رصاص لطررد الثوار من الحياة
مختبرات لمعالجة الغازات المسيلة للأرواح
إذاعات لترويج العنف والمقاتق والبضائع الكاسدة
وتلفزيونات لترويج الأكاذيب
ومتاحف لعرض الجثث وصور الأحياء
نيكاراغوا

• • •

كتب محكوم عليها بالإعدام
فراشات محكوم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة
مياه آسنة تسيل من سقف مثقوب
عاشق ينظر من الثقب ويغني لحبيبة بعيدة

حبيبة بعيدة معلقة من نهديها في الساحة العامة
فلقد حلمت مساء البارحة بصياح الديكة
نيكاراغوا

• • •

نون نائمة تحاول أن تستيقظ الآن
ياء يائسة عثرت على وردة في الطريق
كاف كثيبة يعزف تحت نافذتها رجل بالاكورديون
ألف أهلة بانرقص والثورات
راء رطوبة تجفف جسدها من الفاشستيين
غين غريبة ضمتها ذراعان دافئتان
واو واسعة تتسع للجميع
نيكاراغوا

• • •

امراة مجنونة وشعر محلول

أغنية ساقطة تبحث عن ملحن

نيكاراغوا

• • •

منفضة سجائر بحجم نيكاراغوا

مجمرة طويلة ودخان كثيف

نيكاراغوا

• • •

أسلحة في الشوارع

أسلحة في الثلاثيات

أسلحة أثرية معلقة على الجدران

أسلحة بيضاء مخبأة في الاحذية

أسلحة صغيرة تحت الوسائد

أسلحة كبيرة على الأسطح

أسلحة في الاصابع

أسلحة في الأدمغة
أسلحة في القلوب
نيكاراغوا

• • •

أرغفة تصفع الناس في الصباحات الباردة
رجل يخلع جواربه ويقفز إلى السماء
امرأة تخلع عينيها وتطارد الغزلان
طفل يفجر بالونه ويطلب بمسدس
نيكاراغوا

• • •

نيكاراغوا ورق أبيض وكتاب مفتوح
نيكاراغوا آتية
نيكاراغوا قريبة
نيكاراغوا على بعد ثلاثة أمتار من هذه القصيدة !

ذات يوم فوق سرير شاسع

للمرة الألف أرجوك لا تذهبي

للمرة الألف آخذك بيدي

وأركض في حقول الألغام

في حقول الدم

في حقول الحنطة

وأرجوك لا تذهبي

لا تذهبي وفي عينيك غزاة مذبوحة

لا تذهبي وتحت جلدك يصفّر الموتى بشفاههم المعطلة

لا تذهبي يا عزيزتي لا تذهبي

تعالى وقبليني قبل أن تذبح شفيتك المرتعشتين

سكا كينهم الطويلة

تعالى لثرتى بسهولة وألم

تعالى لتحدث مثلاً :

عن الديدان التى تغزو السنابل

عن المعادن التى تقزقز أصابع العمال بطريقة عجيبة

حدثني عن السهول ذات الحضرة الضارية

عن الوعول التى تقفز بسعادة بالغة

وهي تقضم عشب الفرح بحرية لا تشبه إلا قلبي

حين يخفق بأعلاه السوءاء

فوق ثكنات المحاربين الذين يحملون فقط

— بثلاثة أمتار من الراحة

— بدوش ماء بارد

— بامرأة تغني بصوت حزين

وظفلة تقول لكل رجل تصادفه : أريد باباً

حدثني عن الدنيا وقاراتها الخمس

وحدثني فيما بعد عن الزمن

وحدثني عن العصور جميعاً

إبتداء من العصر الحجري القاتل

وانتهاء بعصرنا السفاح

حدثني عن السفاحين المنتشرين في :

السفارات / الأزقة / دور السينما / المطابخ /

علب الكبريت / زجاجات مياه بقين / أحذية باتا /

ولاعات رونسون / شركة ميكرو فيلم / جوارب أوغاريت ..

حدثني لأحبك

حدثني لأحبك

«أحبك»

هذا ما يقوله السندان للمطرقة .

«أحبك»

لي نهار في المعصية

ولي أزهار في الطرقات

«أحبك»

هذا ما أقوله أنا

هذا ما يقوله الرجل الذي من خلفه النوافذ تهوي

ومن تحته الأرض تنن

«أحبك»

لي ثلوج في جميع المدافئ

ولي وحل في جميع الشتاءات

لي الحائط الكتيم

الأصفاد الثقيلة

الزمن البطيء

ولي الزهر الذي يتدفق من رثيبك

تنفسي يا حبيبتي تنفسي

فهوذا الهواء ينبح في الأزقة بصوته البليد
هوذا الدم يسيل فوق لحم الشرفات
وأنا ملتفّ بقلبي
وقلبي بقرع أجراس الأجساد الرثة
أيتها الأجساد الرثة المغسولة بالحب وعصير البرتقال
أيتها الأشجار الصاخبة
المغلقة بالأيقونات وصور القديسين
أيتها الاحجار / المقابض / الأسطحة / الأحذية /
الاعلام / القواميس / الرجال / النساء / القطط /
الفؤوس / الهراوات / الشياطين / . .
تعالوا واستمعوا إلى خريز الارهاب في الشوارع
تعالوا إليّ جميعاً
تعالوا إليّ بدون استثناء
— أيتها المرأة تعالي لأضمك

- أيها الطفل تعال لأقصّ عليك حكاية الذئب والأرنب

- أيها العاري تعال لأكسوك بالقبلات

- أيتها الحقول الجافة تعالي لأهيك خضرة دمي

- أيتها الشمس لماذا ترتعشين من البرد

وحطب قلبي مهياً للاشتعال ؟

ويا أيتها الأسئلة

يا أيتها الأسئلة

تعالي لنكسر معاً زجاج النوافذ

التي تحجب عنا نضارة الصراخ

سأسأل الصبايا :

لماذا أنتن مكتئبات

وموسيقى ديميس روسوس معبأة في زجاجات الكازوز

سأسأل الجائعين :

لماذا لا تأكلون أطنان التفاح

التي يهدرها الامبريالون في البحر يومياً ؟

سأسال أشجار الزيتون في ضواحي دمشق :

من اختلس أوراقك في الليل

وجعل منها وسادة للسفاحين ؟

سأسال السفاحين عن الأشجار

الأشجار عن الشوارع

الشوارع عن الاضطهاد

الاضطهاد عن حبيبي

وأقول لحبيبي

أقول لحبيبي التي تبيع الجانرك والمائجة في باب توما:

لاني مرهق كثعبان ابتلع بيضة

وأقول لحبيبي

وأنا أصغي إلى زقزقة الموتى في التواييت

إلى هديل الحرب في البلاد :

تعالى لنمشي ونتذكر كيف كان الملوك ينتحرون

لأن عينين حافيتين انطفأنا

لأن قلباً وسيماً أضاء

تعالى لتتفاءل بلدات يوم فوق سرير شاسع

ذات يوم فوق سرير شاسع ، حيث :

— العصافير تقصف الطائرات

— الشهداء يضعون القتلة على الكراسي الكهربائية

— الزهور نمنن للرصاص شفرات المقاصل

والحرية

تغتصب

السجون

ذات يوم فوق سرير شاصع
أفتح ثغرة في لحمك الذي يحترق أيتها الأرض
وأقذف إليك بدماري .

• • •

« الفن هو فرح الانسان في أن يكون ذاته ، بأن يجبا
، وينتمي إلى المجتمع » .

- فاغتر -

اساطير يومية

الوقت / القبلة

رأيت أن الأرض مثلث يرمودا واسع
يتلع الأطفال والشجر والفلاحين
ثم اكتشفت ، فيما بعد ، ان الأرض كروية
ففكرت بوجود بعض الأمكنة
لا يتلع فيها الماء شيئاً
أمكنة صغيرة جداً . .
على سبيل المثال :
ثمة رجل يقبل امرأة
دون أن ينظر إلى ساعته .

١- اذا لم تحبني

أيها الولد اللطيف

سأردك إلى أمك . .

— اذا لم تحبيني

أيتها الفتاة الشريرة

سأردك إلى القبر . .

وأنا أتذكر أن بين شجرة الليمون والمستنقع

بين الهواء والصفائر الساطعة

بين الاسنان الجائعة واللحم

بين الموسيقى والغبار

بيني وبين أمي

بيني وبين قبوري :

فتاة لطيفة

وولداً شريراً !

• • •

لماذا

لماذا نحب بعضنا بعضاً

مادام جيبى محشواً بالأجراس

وجيبك محشواً بالبحث؟

لماذا نقبل بعضنا بعضاً

مادام فمي رأس أوزة حمراء

وفمك عمود كهرباء متغضن ؟

لماذا نرسل لبعضنا البعض الرسائل

ما دمت تحاولين أن تعصي الزمن

وأنا أحاول أن أقطع المسافات ؟

وفيما بعد إذا تزوجنا

هل ستصيرين على سرير من خشب الزان
أم ستستلقين بكامل أناقتك على الرمل المبلل ؟
لنبق بعيدين إذا
بدك تتشاءب على الوسادة
ويدي نرعى قطعان الرصاص
وفيما بعد إذا التقينا في مقبرة واحدة
لن أنكر أبداً بأنني أحبيتك

• • •

الشبه

يا امرأة من لحم وصنوبر وأحجار
انك لا تشبهين أحداً سوى رأسي
رأسي المعبأ بالشوارع والحث والكلابات
انك لا تشبهين أحداً
الذالك أرفض أن تمتد يدك لاشعال سيجارتي
يا امرأة قصصت عليها اسطورة كو- نغاي
ألا أبدو لك كقاعدة ارضية
لاطلاق الأغاني على البشر
فلماذا تنظرين إلي ببلاهة ؟

مياه مالحه

نحن الأطفال البلهاء
الذين لم نغمس أجسادنا بالماء المقدس
لماذا لا نذهب الى البحر
لنسنّ أسناننا بمياهه المالحه
ونعود إلى الوطن بقلوب قوية ؟

• • •

أنا رجل وسيم

طولي ١٦٧ سم

أنا تراكتور معطوب

أبحث عن عمل منذ ثلاثة أشهر وتوايت

جلست في المقهى لأشرب شايًا ممزوجاً بالدبابيس

جلست في مقهى

النساء فيه يتدلين من الأشجار

كما تتدلى مصابيح النيون في معرض دمشق الدولي

أنا رجل وسيم

قال لي صديقي : « مدّ يدك واقطف امرأة » .

أيها الصديق الجاهل

الحب قطاع خاص

ولذلك علينا أن نفعل شيئا

• • •

قلب مكسور

لي قلب مكسور كسفرجلة
لدى كل رجل قطعة منه
اجمع الرجال جميعا وقل لهم :
نحن لسنا لصوفاً
إننا نعمل ثماني ساعات في اليوم
ومن حقنا أن نأكل السفرجل
اجمع الرجال جميعاً فتجمع قلبي
قلبي المكسور كسفرجلة

• • •

— •• —

ذلك الطفل.. تلك المرأة

ذلك الطفل الذي يقرأ في مجلة قديمة
إنه يفكر كيف سيستطيع أن يخرج الشمس من
ردائها الناصع ليشاطرها الاحتراق
ذلك الرجل في ردائه الشفاف
إنه يفكر كيف سيستطيع أن يقبض على المرأة الهاربة
ليشاطرها الحب أمام جميع المخلوقات
وتلك المرأة
المرأة الهاربة كرملة ناعم من بين أصابع طفل
- طفل يقرأ في مجلة قديمة -
تعد يدها إلى الشمس

وترد للعالم أشياءه
انها اشياء صغيرة جداً
أشياء صغيرة وليست تافهة
بيوت ، وحوانيت ، وأرصفت ، وجوج
وأيضاً
قصيدة نائمة في مجلة قديمة

• • •

انها تقرب

هي ذي تقرب كسفينة محملة بالحث
الساعة ذات الرقاص الرتيب تؤكد على ذلك
النهار ذو الشمس المنهكة يؤكد على ذلك
والبيوت المتراسة كعبدان كبريت في علبة صغيرة
تؤكد على ذلك

وأنا أؤكد لكم

انها تقرب كسمكة قرش مريعة
انها تقرب كقنبلة معطوبة
ومعها يقرب كل شيء من كل شيء
اللحم من السكين

المدافن من الجثث

والنار من زجاجة بتزين سريعة الاشتعال

انها تقرب

انها تقرب

ساعة الذهاب الى الموت باطمئنان

وحزن شديد

حيث يبحث الجائع في القمامة عن الأغاني

والعصفور عن السماء الزرقاء في الغرف المقفلة

والثائر عن الحصان تحت الوسادة

انها تقرب وأنا لست وحيداً

انها تقرب وأنا أحاول أن أبدو أقل حزناً

انها تقرب وأنا أقذف قطعة السكر في فمي

وأذهب الى المدرسة في القرى الموحلة
أطارد الدجاج في الطريق
وأتعلم كيف أقبل الفتيات الصغيرات
وأسرق لهنّ التوت من الاشجار الواطئة .

• • •

ورق

ورقة بيضاء كانت
ورقة بيضاء فقط
لم يكتب عليها العاشق رسالة
ولم تطبع عليها الدولة قانونا
ورقة بيضاء نقية كالنبع
لم تمسكها يد
ولم تمزقها أصابع
ليست هوية شخصية
ولا بطاقة مجانية لزيارة المعتقلات
ورقة بيضاء فقط
قدمتها لحبيبي
فكتب عليها كلمة (أحبك)
ولم يستطع أن يقبلني !

شورة صغيرة

بعد قليل

سأقوم بثورة صغيرة

في هذه الغرفة السوداء

أمزق الكتب والأحزان والصور القديمة

وأضع الكرسي مكان المدفأة

بعد قليل . . بعد قليل

سأفكر بالزهور ويعاسيب الغابات

والحيول المرتعشة خلف القضبان

بعد قليل

سأقوم بثورة صغيرة

أضع رأسي فوق الوسادة
أغمض عيني على حلم متوحش
أمد يدي إلى قلبي
وأغني لروزا لوكسمبورغ

• • •

لست سيّئا بما فيه الكفاية
لأضع السيف على عنق الحصان
وأبصق على الأرض بحقد قاتلا :
(- انزل عن الحصان يا ترانتيان الجبان
انزل وبارزني .)
ذلك ان السيوف وضعت في المتاحف
والأحصنة أصبحت للسباق
والبصاق تجمّد في الفم
أما الفرسان الثلاثة فماتوا
وتركوا حصان الشعب في الحلبة
يصهل ويعضّ الأحجار
طالباً الطغاة للمبارزة

* * *

أطوار غريبة

أطواري غريبة هذه الأيام
انني ارقص دائماً
وأنظر الى الخناجر التي تغوص في اللحم
وعلى شفطي ابتسامة من نوع ما
لقد تذكرت البارحة أغنية لطيفة
أغنية وقطيعاً من الصخور
أغنية وبحراً هائجاً كثور
أغنية ورجلاً ميتاً
ينظر الى الأفق بعينين جاحظتين
أغنية . . ورقصتُ

كانت أطواري غريبة

فلم أغلق عيني الرجل بهدوء وحزن

كما يفعلون في الأفلام

لكني تساءلت :

لماذا يموت الرجال هنا وهم ينظرون الى الأفق ؟

لم يجبني أحد

لم تجبني سوى أغنية وقطيع من الصخور

فمددت كفي الى عيني

- عيني اللتين تنظران الى الأفق -

وأغلقتهما بهدوء

كان يجب أن أحزن وأتألم

كما يفعلون في الأفلام

لكني رقصت

إنني أرقص دائماً

فأطواري غريبة هذه الأيام .

الطمأنان

حجر بعد حجر

لن أسقط

كمدينة محاصرة

• • •

ورقة بعد ورقة

لن أسقط

كشجرة في الخريف

• • •

جثة بعد جثة

لن أسقط

في مذبحه علنية
تحت ظل القانون

• • •

أمام دبابات الامبريالية
مأسرح شعر قلبي
وانظر الى الموت باطمئنان

• • •

جندري

في الأزمنة البعيدة

في الأزمنة القريبة

كان يرعى برسيم الحروب كخروف صغير
حاصر المدن كما تحاصرون زوجاتكم في الفراش
اعتدى على الأفتدة والأشجار والحيوانات الأليفة
وبمساعدة رشاش صغير وزن / ٥ / كغ
اغتصب امرأة وقرية ومساحات شاسعة من الموسيقى
وبمساعدة بذلة عسكرية

وعينين قاسيتين

وأظافر طويلة

منع الشمس من أن تزور ثلاثين رجلاً

وقطة

وأربع دجاجات

وعندما مات كما يموت الجميع

كان بعض شفته السفلى بضراوة

ويصق على نفسه بدون استئذان أحد

ولم يترك - كما تعلمون -

بوليصة تأمين لأولاده

• • •

فنان

وحيداً في الليل
أو وحيداً في النهار
استطاع أن يضع البحر والصحراء
الذئب والشاة
القاتل والقتيل
في اطار مساحته 7×3
أطار مزدحم بالخطوط والألوان الغريبة
ووحيداً في الليل
أو وحيداً في النهار
كان ينظر الى لوحته ويفكر بقلق :
النافذة مغلقة جيداً
ولا شيء في الشارع سوى الغبار
فلماذا لا أجرؤ على البكاء أو النوم ؟

رجل

. . . وعندما كان الناس يرقصون

أو يشاهدون الأفلام الهزلية

وأبته يحمل الحضار للجوعى

والحقائب للمسافرين

البترول للطائرات

والألعاب للأطفال

. . . وعندما كان الناس يتشاءبون في فترة الظهيرة

أو يمارسون الحب في الحمامات

كان يحمل السمك من البحار

والقمح من الحقول

الورد من الحدائق
والكتب من المطابع
وفي يوم ما
الأربعاء أو الخميس أو الجمعة
جاءت سيارة بيضاء
وحملته الى المقبرة ا

• • •

زوربا

زوربا أنا لا أعرفك
أنت قديس أم نائر ؟
حبة خوخ ناضجة
أم مصباح بترولي زهيد الثمن ؟
زوربا

لقد أحبيت نساء بعدد الشياطين التي تلقاها جسدك
وتلقيت من الهزائم بقدر الرسائل التي كتبتها لعشيقائك
كنت شيوعياً في مصر
ورأسالياً في البلقان
إذا ، يا زوربا

أقديس أنت أم نائر ؟

عندما كانوا يصنعون الأسلحة

كنت نحاول إنقاذ الأرامل من الذبح

عندما كانوا يرقصون الروك أندرول فوق الجثث

كنت تعمل في المناجم بقوة / ٣٠٠ / حصان

عندما كانوا يتكرون الغازات المسيلة للدموع

كنت تبتكر الغازات المسيلة للفرح

ومع ذلك ، يا زوربا ، أسألك :

أقديس أنت أم نائر ؟

لقد عشت في زمن ثمن الإنسان فيه دولار واحد

وثنم البقرة أربعين دولاراً

لقد عشت في زمن يسيل فيه الويسكي

بالكمية التي يسيل فيها الدم

لقد صنعت حضارات الدنيا

وأسعدت البشرية لقرونٍ طويلة
ولكن لماذا عندما مت
يا زوربا المسكين
لم ترث زوجتك منك
سوى آلة موسيقية تُمنها ربع جنيه استرليني ؟

• • •

هيلين

(الى ن . أبوعفش)

. . . وانها لكذلك

لأنها وظيفة الخارجين من خنادق الأم

حيث كل شيء مباح

البنابيع والخناجر والكواكب

وحيث كل شيء مفتوح

الركض والنحيب والقبليات

والبحت عن اليورانيوم في حويصلة رجل ذبيح

انها وظيفتك أنت

وانك لكذلك :

متين كالماء

واسع كالصدي

متيناً كالماء رأيتك

عندما كانوا يقتحمون دماغك ليصادروا منه

الأسرة التي أعدتها للعشاق

والاشرة التي أعدتها للمراكب

أسلحة سبارتاكوس

عيني هيلين

ونظرية اينشتاين النسبية

وواسعاً كالصدي رأيتك :

/ عندما كان صوتك تفاعلة

تندرج في القلب

قنبلة من زهور وأرغفة

وطناً شاسعاً

وغطاء تدثر فيه أزقتك البارادات
عندما كان صوتك مذبحة لمذابحهم . .
قلت لي :

إن هيلين أنثى مقدسة
قبضة من نهار وأحصنة
وطن للمصايين باليأس
نافذة ، مطر

ان هيلين /

وانها كذلك

وانها كذلك

إنها وظيفة الخارجين من خنادق الألم

حيث بطاردون الكلاب والفقراء

ويباد الدباب والقصائد بالد . د . ت

وحيث كل شيء مباح :

البكاء على القبور
والضحك في الليالي القمرية
زرع الطيور في حناجر الموتى
واصطياد الأرناب من دور السينما
انها وظيفتك أنت
وانك كذلك
قريب كالحروب
وبعيد
كالأغاني .

• • •

في رأس السنة الجديدة
وكابن بار
سأجمع البحار والأشواق والأفكار الطارئة -
وأرسلها بالبريد المضمون
للى أمى
أمى التى مازالت تتنفس أوكسجين العبودية
وتلتهم فطائر الإرهاب
منذ أن امتدت يد الانسان إلى الانسان
وجعلت منه مزرعة لانتاج الحاسبات الالكترونية

• • •

في رأس السنة الجديدة
سأجمع الصحف والمقابر والحانات
الاعلانات والشوارع وأماكن العبادة
وأعبيها بمحفظتي
كما تعبىء الفلاحات جرار الماء
من الينابيع البعيدة
أدخن بهدوء
ناظراً إلى الفطائح المنتشرة
كانتشار الذباب فوق قطعة حلوى
هنا الماء وهنا الصحراء
هنا العطش حتى الارتواء
وهنا الجوع حتى التخمة
وهنا باستطاعتك أن تشتري أصابع الأطفال
من الحوانيت

لتعلقها في غرفتك
بجانب لوحات فاتح المدرس
هنا الماء وهنا الصحراء
هنا القيود الممتلئة
وهنا القلوب النحيلة
ومن المطاعم كما في الحقول
من المدافن كما من علب الكبريت
تخرج جحافل الاستعمار
لتكتسح الأناشيد والأفئدة وأقلام الحبر الجفاف
تعالوا . . تعالوا
أيها الهولنديون والدانمركيون والامريكيون
تعالوا لنشرب القهوة ونتبادل الأنخاب
تعالوا لنحتفل بسقوط القنبلة الذرية الثانية
بين عيني هيروشيما

*

في رأس السنة الجديدة
سأجمع أسماء الطغاة كما يجمعون الطوايع التذكارية
في « ألبوم » ضخم من ورق الأيام
أضع فرانكو بجانب سالازار
موسوليني تحت هتلر
السادات أمام سوموزا
سميث بين سافي سالومي
وأعطيهم حربة الموت تحت سنابك التاريخ .

• • •

اغنية رجل متعب عائد إلى البيت

هذه الدنيا المشكوكة على البكاء

برتقالة أم حجر

صمكة أم تمساح ؟

وهذا القمر

الذي يطل كل مساء

بشبابه الرثة

ماداً يديه إلى سكارى منتصف الليل

كشحاذ عتيق

هل أسأله مَنْ أنت ؟

أم أغرز أسناني في رأسه ؟

رأسه الذي كحبة جوز فارغة
تنطوح في هواء منتصف الليل.
أنظر إلى القمر كرومانتيكي عريق
وخنصري أمام أنفه

- سأخاصمك يا قمر

أيها الأصفر الكبير

لن أشرب معك القهوة

ولن أركض معك في البرية

لن أنتحب أمامك كعاشق

ولن أحجب وجهك كغيمة

وكجندي مهزوم عائد من حرب عادلة

سأنظر دائماً إلى الأسفل

راكلاً الحصى والمتاعب يبرز حدائي

وأنا أفكر بالمجهول ! .

•

فيمابعد

فيمابعد

بعد عشرين سنة أو برتقالة أو سيجارة

أجدها هنا

أجد حبيبي التي من قطن وجسور ومساكن

تفتش عن قطرة المطر المتكسرة

بين أسنان الرمال

فيمابعد

بعد عشرين خنجراً أو صديقاً أو رحلة

أجدها هنا

أجد الأصابع العشرة النائمة في سريري

والعينين المغلقتين كطفل مصاب بالكآبة

فيما بعد

أفتح الباب وأدخل كالهواء

أفتح الأرض وأدخل كالقمر

فأجدها هنا

تعد ببطء السنوات التي قضيناها بتبادل النار

وقراءة الأنباء المؤلفة في الجرائد

وأجدها هنا

شرفة تطلّ على البشر بحنان

واعلاناً يقرؤه المارة دون أن يتأسفوا

على العمر الذي اختفى ببلادة

وأجدها هنا تقول لي :

افتح رثيتك على الأعشاب

ودماغك المليء بالكدمات على الأرصفة

فيما بعد . فيما بعد . فيما بعد

ثمة طفل ، حجر ، حصان ، امرأة أو عربة

تضع بين يديك البلاد

وتدعوك إلى التزهة

بدون أن تسألك :

هل ثمن حذائك / ٤٤ / ليرة

أم ليدك اليسرى ستة أصابع ا

• • •

الكلمة الأخيرة _____

عن النقط السوداء الكافرة والقبليات الممنوعة من التداول

عن امرأة كسول تركت خلفها قميصها الممزق

ورسائلها الخضراء

عن فتاة كانت تحدثني عن الديوك مساء الاثنين

وعن المقاصل مساء الإثنين

عن الطفل الذي يريد أن يחדش وجه القمر بأظافره الطرية

والرجل الذي يريد أن يثقب قلب الطفل بسكينه

المديبة

عن الغضار والمشائق والأزمات والمشائق

عن الحروب المعبأة في الثلاثجات

والسلام المحتط في الشوارع
عن الحب والأحذية والامبريالية
عن حليب الماعز وحليب الأمهات
عن جدول ضرب الموتى وعمليات تقسيم الجثث
عن الأوطان البعيدة والوطن القريب
عن كومونة باريس وصناعة المرطبات
وثياب الهيبين وعلي كتخدا
عن الآلهة الطيبة وأكاذيب اذاعة مونت كارلو
عن أسناني وأهدابي وجواربي القديمة
عن الأرض التي سقطت والسماء الموشكة على السقوط..
كتبت وكتبت وكسرت الأقلام
أقلام زهيدة الثمن كراسي
وأقلام غالية اختلستها من جيوب أصدقائي
أقلام بيضاء بلا رائحة

وأخرى سوداء كوجه صبي باعني ورقة يانصيب

قرب جسر فكتوريا

أقلام حمراء أحفظ بها للأوقات الخطرة

وأخرى خضراء أكتب بها الرسائل الحبيبية

كتبت وكتبت وكسرت الأغاني

كتبت وكتبت ولم أحفظ إلا بقلي

قلبي الذي أخبته قبل أن أنام تحت وسادتي

خوفاً من قطاع الطرق والمسدسات اللطيفة

انه الآن يريد أن يفرّ من قفصه الصدري

ليبحث عن عمل ورغيف أبيض

وفتاة ينام معها في غرفة صغيرة

مفتوحة دائماً للأصدقاء والكتب والعصافير •

• • •

الفهرس

<u>الرقم</u>	<u>الصفحة</u>
٧	حرب .. حرب .. حرب
١٥	بعد ثلاثة أيام
٢٣	نيكاراغوا . . نيكاراغوا
٣١	ذات يوم فوق سرير شامع
٤٣	الوقت / القبة
٤٥	الولد / الفتاة
٤٧	لماذا
٤٩	الشبه
٥١	مياه مالحة
٥٣	١٦٧ سم
٥٥	قلب مكسور

٥٧	ذلك الطفل . . تلك المرأة
٥٩	انها تقترب
٦٣	ورق
٦٥	ثورة صغيرة
٦٧	بندر شاه
٦٩	أطوار غريبة
٧١	اطمئنان
٧٣	جندي
٧٥	فنان
٧٧	رجل
٧٩	زوربا
٨٣	هيلين
٨٧	هيروشيما
٩١	اغنية رجل متعب عائد إلى البيت
٩٣	فيما بعد
٩٧	الكلمة الأخيرة

1980 / 8 / 3000

الواقع ليس في وقائعته بل في دلالاته ،
وهذه هي التي تتحول في ذهن كل منا نحن
الذين نعيشه الى صورة ، والصورة الى
حكاية .

وكل حكاية بداية اسطورة .

وهذه المجموعة الثانية للشاعر كالأولى
محاولة جريئة لتجاوز عصر الانحطاط
اقصد لنزع السمة الخطابية عن شعرنا
وجعله ينطق بلغة الحياة اليومية . انها
تضعك بين الواقع والخيال ...

لكن ما ان تعيشها حتى ترى ذلك في
الصميم من الواقع .